مُقَدِّمَة

يهتم هذا الكتاب بدراسة الواقع المحيط بالدعوة الإسلامية وما يشتمل عليه من تحديات سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية ودعوية وإعلامية عديدة.

إن معرفة هذه التحديات يعد أحد المقومات الأساسية لتحديد سبل المواجهة تمهيداً لزيادة فعالية دور الدعوة فى حياة المجتمعات الإسلامية وهذه التحديات فى جملتها ليست جديدة.. فقد واجهت هذه الأمة منذ بدء تأسيسها على يد الرسول ﷺ يوم أذن الله له بالدعوة إلى التوحيد والصدح بالحق والجهر بكلمة الإسلام ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ صورة الحجر آية ٩٤- ٩٦.

وكما نجح الرسول ﷺ فى مواجهة هذه التحديات بفضل البعد العقدى والثقافى المتميز للشخصية الإسلامية ستنجح الدعوة الإسلامية بفضل هذا التميز فى مواجهة المرحلة الجديدة من التحديات التى تواجهها فى الوقت الراهن، بل أن هذه التحديات لم تمنع انتشار الإسلام، ولم تمنع إحساس الصحوة الذى ينتاب جميع المسلمين الآن فى كل أنحاء العالم.

وتتعدد التحديات التى تواجه الدعوة الإسلامية بتعدد مجالات الحياة نفسها، وقد تعرض الفصل الأول للتحديات السياسية وأهمها الاستعمار والدعاية الصهيونية والعولمة وصراع الحضارات والبعد عن منهج الشورى والتجزئة السياسية وإهمال حقوق الإنسان وخلط الخطاب السياسى المتطرف بالخطاب الدينى واستعرض الفصل الثانى التحديات الاجتماعية فتناول تحدى التنشئة الاجتماعية وعدم التمسك بالإسلام من بعض أهله والانحراف الخلقى والانبهار بالغرب وانتشار الأمية وتحدى الحضارة المادية وتقديس الماضى وافتقاد التربية الإسلامية والانفصال بين الدعوة والحياة والصورة الذهنية السيئة للدعاة.

وناقش الفصل الثالث التحديات الثقافية للدعوة الإسلامية ومنها تحدى دعوات الإلحاد والمذاهب الهدامة وتحدى التبشير والاستشراق وتعدد اللغات وحوار الحضارات أما الفصل الرابع فقد تعرض فى إطار التحديات الاقتصادية لتحدى التنمية وتحدى التخلف التقنى.

وتناول الفصل الخامس التحديات الدعوية مثل تشويه صورة الإسلام والخلافات الفقهية والمذهبية والغزو الفكرى ونقص الوعى بالإعلام الدينى فى المجتمعات الإسلامية وافتقاد التكامل بين وسائل الإعلام والدعوة وارتجال العمل الدعوى ووجود مشكلات خاصة بالدعاة.

أما الفصل السادس والأخير فقد استعرض التحديات الإعلامية للدعوة ومنها التنمية الإعلامية وتقـــدم تكنولوجيـــا الاتصـــال والاحتكار فى مجال الإعلام وعدم احترام الجمهور والتكنيكـــات الإعلامية اللاأخلاقية والمعالجة المشوهة لقضايا العالم الإسلامية.

وإلى جانب ما اشتملت عليه هذه المباحث من ســـبل محـــددة لمواجهة كل من هذه التحديات جاءت الخاتمة بسبل عامة لكيفيـــة المواجهة.

أرجو أن يسهم هذا الكتاب فى تنمية الشعور والمعرفة بحجـــم التحديات التى تواجهنا وأن تساعد هذه المعرفة على شحذ الهمـــم وتقوية العزائم والإقدام على تبليغ الدعوة وعلى الأخذ بالأســـباب لمواجهة هذه التحديات التى تريد النيل من الإسلام والمسلمين.

أسأل الولى عز أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكـــريم وأن يتقبله منا وأن ينفع به العاملين فى حقول الدعوة الإســـــلامية وأن يغفر لنا زلاتنا إنه سميع مجيب.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

والله ولى التوفيق

المؤلف

تمهـــــــيد :

يهتم هذا الفصل بدراسة الواقع المحيط بالمؤسسات الدعوية أو بمعنى آخر بالظروف البيئية المحيطـــة بهـــذا النشـــاط . فـــالدعوة كمؤسسة اتصالية لا تعمل فى فراغ ولكن داخـــل بيئـــة تحملـــها أوضاع وتحديات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ودعويـــة وإعلامية عديدة ومن خلال تفاعل كثير من الأحداث والمؤثـــرات الداخلية والخارجية .

وفهم هذه العوامل أو التحديات يعد أحد المقومات الأساســية لزيادة فعالية دور الدعوة فى حياة المجتمعات الإسلامية المعـــاصرة . فنحن لا نستطيع تحقيق أهدافنا من النشاط الاتصـــــالى الدعـــوى بمعزل عن هذه التحديات. فهذه التحديات تؤثر سلبياً أو ايجابيـــاً على نشاطنا الدعوى.. وبقدر ما يتمكن القـــائمون علـــى هـــذا النشاط من إدراك أبعاد هذه التحديات والتفاعلات معها بقدر مـــا نهيئ ظروفا أفضل لتحقيق أهدافنا الدعوية .

والدعوة كنظام اتصالى وتربوى ليس مستقلاً أو منفصلاً عـــن باقى الأنظمة الاجتماعية الأخرى فى المجتمع فهناك المدرسة والبيت ووسائل الاتصال وجماعات الأصدقاء وغيرها من أنظمة التنشـــئة الاجتماعية.. ولكل منها مهامه ووظائفه وارتباطاته وتفاعلاته مـــع الأنظمة الأخرى ومع الظروف البيئية المحيطة، ومـــع التحديـــات

القائمة، ولكل أيضاً قدرته على الحصول على المعلومات عن البيئة وقدرته على استيعابها وتوظيفها لتحقيق أهدافه ووظائفه .

والنظام كما يذهب علماء الإدارة عبارة عن عدد من الأجزاء يطلق عليها الأنظمة الفرعية . أجهزة ــ إدارات ــ وظائف ــ تعمل مع بعضها بطريقة متسقة مكونة فى وحدتها وحركتها الجماعية شيئاً مختلفاً فى طبيعته عن الطبيعة المنفردة لكل جزء منها على حدة ــ ذلك أن الوظيفة المستقلة أو الدور المستقل لكل جزء من الأجزاء يصبح إيقاعاً منسجما مع بقية وظائف وأدوار الأجزاء الأخرى على النحو الذى يشكل دوراً عاماً أو وظيفة عامة للنظام الكلى ، هى نتاج الحركة الكلية لمجموع الأجزاء ، وأى ارتباك فى وظيفة أى جزء أو نظام فرعى لابد وأن يؤثر على كفاءة الأداء الكلى .

ويساعدنا هذا التصور على فهم وتفسير كثير من العمليات المعقدة وتوضيح مكوناتها والعلاقات القائمة بينها ومن ثم اقتراح حلول للتحديات التى تواجهنا .

والجهاز الذى يسمى بالنظام يتكون عادة من :-

أ ـ مدخلات .

ب- عمليات .

جـ- مخرجات .

وذلك كله فى إطار البيئة العامة التى يعمل فيها الجهاز الإدارى أو النظام . وتتكون المدخلات من مختلف العناصر التى تساهم فى تكوين مخرجات النظام وهى هنا بالنسبة للاتصال الدعوى تمثل السمات الشخصية والثقافية والقدرات الذهنية للدعاة ، والضغوط المهنية والقيم والمعتقدات الاجتماعية والآراء والاتجاهات والتطلعات والآمال والدوافع والحوافز والمعلومات عن البيئة بأنواعها ومدى توفر الإمكانات المادية والبشرية والظروف المباشرة والضغوط والمشكلات وطبيعة الممارسات الإدارية للنشاط الدعوى من تخطيط وتنظيم ومتابعة .. الخ .

أما المخرجات فهى عبارة عن الإنجازات المادية والمعنوية التى ينتجها الجهاز والتى تعتبر أحد المكونات الأساسية لمدخلات نظام آخر . وتتمثل الإنجازات المادية فيما يصدر عن الدعوة أو النظام هنا من رسائل ومعلومات من خلال أشكال الاتصال المختلفة كالدروس والخطب والمقابلات والنشرات والمجلات والبرامج الدينية بالإذاعة والتليفزيون والنشر الإليكترونى والبريد الإليكترونى والمواقع المعلوماتية على شبكة الإنترنت.. إلخ وفى التأثيرات المختلفة الناجمة عن هذه الأشكال المتنوعة من الاتصال .

أما العمليات فهى مختلف الأنشطة المصاحبة لتحويل المدخلات إلى مخرجات كالعمليات الإدارية والذهنية المرتبطة بالتخطيط والتنظيم والتنسيق والمتابعة والبحوث والتدريب والعمليات

الخاصة بإعداد الرسائل الإعلانية من حيث اختيار الموضوع وأنماط التحرير وأساليب لغة الخطاب واستراتيجياته ، وكل العوامل الأخرى التى تحقق نسق التأثير المطلوب .

ويلاحظ أن كل هذا يتم فى إطار البيئة المحيطة بنظام الاتصال الدعوى ، فالبيئة هى التى تقدم المعلومات وهى التى تستهلك المخرجات .

والبيئة من وجهة نظر علماء الإدارة هى مجموع العناصر أو القوى أو المتغيرات أو المجموعات المتواجدة خارج حدود المنشأة المحيطة بها . ويعرفها W. Scott بأنها ذلك الواقع الذى تعيش فيه المنشأة بكل ما يحويه من أنظمة وقيم وظروف وتحديات اجتماعية وثقافية وسياسية وغيرها.. وهناك من يعرفها بأنها إجمالى القوى والكيانات والعوامل التى تحيط بالمنظمات ذات التأثير الحالى والمحتمل عليها .

وتهدف وسائل الإعلام بصورة عامة إلى التأثير فالهدف من أى رسالة تبثها أو تنقلها هى أن تعاون على بناء أو إفهام طرف ما لشخص آخر أو التأثير عليه ليقوم بعمل معين ، أو يشعر بمشاعر معينة .

وقد تنجح هذه الرسائل فى تحقيق أهدافها وقد لا تنجح . وذلك وفقاً لطبيعة المعلومات التى تتضمنها الرسائل الإعلامية.. ومدى مساعدتها للفرد المتلقى على القيام بتصرف معين .

وكما يتأثر الفرد بالظروف والتحديات المحيطة به تتأثر أيضاً وسائل الإعلام . فالظروف البيئية المحيطة بهذه الوسائل لها تأثير كبير على الوظائف الإعلامية لهذه الرسائل وعلى حياة الذين يستخدمون رسائلها وعلى قدرتهم على الحصول على المعلومات بكفاءة وبالتالى على مدى مشاركة الجمهور المتلقى لأنشطة المعلومات .

ولا يختلف الوضع بالنسبة للدعوة كمؤسسة اتصالية عنه بالنسبة للمؤسسات الإعلامية الأخرى فى المجتمع من حيث تأثير التحديات أو العوامل البيئية على الأهداف والوظائف وأوجه أنشطة الممارسات الإعلامية المختلفة من حيث التخطيط والتنظيم والتوجيه والمتابعة والبحوث والإنتاج المتمثل فى الرسائل الإعلامية المختلفة.. وبالنسبة للدعوة كمؤسسة اتصالية لا يمكن الفصل بين الأنشطة الإعلامية المختلفة والتأثيرات الناجمة عنها وبين التحديات والعوامل البيئية المحيطة سواء على مستوى البيئة المحلية أو القومية أو العالمية .

ونقصد بالمتغيرات البيئية هنا مجموعة العوامل والتحيات الموجودة خارج المؤسسة الاتصالية الدعوية وداخلها.. ولا يمكن التحكم فيها أو السيطرة عليها والتى تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على الممارسات الدعوية المختلفة وعلى ناتج هذه المؤسسة والمتمثل فى الرسائل الدعوية .

ونقصد بمؤسسة الاتصال الدعـــوى.. التنظيـــم الإدارى أو الهيكل التنظيمى الذى ينظم العمل بالمؤسسة على مستوى نطـاق محدود أو على النطاق الوطنى أو على النطاق الـــدولى : يشـــرف عليها ويخطط لأهدافها ويوجه نشاطها ويعد القائمين عليها ويتـابع أنشطتهم ويوجههم.. بشكل يساعدها على تحقيق أهدافها التعبدية والتربوية والاجتماعية سواء تم ذلك بصورة رسمية كما هو الأمـــر لوزارة الأوقاف أو بصورة تطوعية اختيارية كالجمعيـــة الشـــرعية وكالمساجد الأهلية التى ينشئها الأهالى ويشرفون علـــى إدارتهـــا وأمورها والجمعيات الخيرية المختلفة .

والدعوة كمنشأة لا تختلف عن المؤسسات الإعلامية الأخـوى ولا عن غيرها من منشآت الخدمات الاجتماعية والخيريـــة مـــن حيث التأثر بالظروف المحيطة .

فالارتباط بالبيئة وتحدياتها ليس مجرد خاصية فقط لمؤسســـات الاتصال الدعوى الإسلامية.. فهذه العلاقة التبادلية قائمة وتمثـــل جزءا هاما من طبيعة التصور الإسلامى فى المنهج القرآنى ،وطبيعـــة الإسلام الشاملة لكل مناحى الحياة . فالبيئة فى الإسلام ركن مـــن أركان العبادات وملازمة للمســـلم فى كـــل أعمالـــه التعبديـــة والحياتية.. وتعنى صدق المؤمن فى توجهه إلى ربه وهو يعى مـــاذا يعمل وكيف يعمل وأين يعمل وفى أى الظروف يعمل. ويؤكـــد معنى الارتباط بالبيئة وتحدياتها نزول القرآن منجما وفقا للوقـــائع

والأحداث وذلك ليعطى إيحاءاً قوياً بدراسة الواقع البشرى وفهمه.. وهناك أيضاً الآيات الكثيرة التى تدعو الإنسان للتفكير فى السماوات والأرض وفى الليل والنهار وفى المخلوقات كلها من حيوان ونبات وهواء وماء وفى الحياة والموت والنشور والآيات التى تنظم علاقات الإنسان مع ربه ونفسه وزوجه وأولاده وأخواته وأعدائه ومع البشرية كلها.. وهذه الدراسة للواقع تندرج ابتداء من الفرد وواقعه.. فالجماعة فالأمة فالمنطقة فالإنسانية جمعاء.. دراسة لا تعتمد على الظن والتخمين وإنما على الدراية وبذل الجهد والعمل.. دراسة شاملة لكل العوامل والتحديات . وتتسع لتشمل مختلف الأوجه والألوان تشمل الأفراد والأمم والشعوب وتشمل النفوس والخصائص.. وتشمل البيئات والعلاقات.. وتشمل السياسة والاقتصاد والعلوم.. وتشمل حياة الإنسان الحالية وماضيه ومستقبله.. حياته الدنيوية والأخروية.. ذلك كله فى نسق متكامل يبدأ بالواقع أو الظروف المحيطة وينطلق منها مستهدفاً السيطرة عليها وتطويرها .

إن الأمة الإسلامية اليوم على أعتاب مرحلة جديدة من التحديات فى مختلف جوانب الحياة.. إنها تعيش واقعاً مريراً على مستوى الأفراد والمجتمعات . ولابد أن نذكر بأن هذه التحديات واجهت هذه الأمة منذ بدء تأسيسها على يد الرسول عليه الصلاة والسلام ،يوم أن أذن الله له بالدعوة إلى التوحيد والصدع بالحق

والجهر بكلمة الإسلام.. {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} سورة الحجر آية ٩٤-٩٦ .

وكما نجح الرسول صلى الله عليه وسلم فى مواجهة التحديات التى فرضت نفسها على الدعوة منذ يومها الأول.. بفضل البعد العقدى والثقافى المتميز للشخصية الإسلامية التى أنشأها على هدى القرآن الكريم وسنته النبوية المطهرة.. نجحت الأجيال التالية بفضل نفس المنهج فى مواجهة التحديات فى كل زمن وفى كل بقعة امتدت لها رسالة الإسلام .

ومن يطّلع على المجريات المعاصرة يكتشف وبشكل واضح مدى التحديات التى يواجهها المسلمون فى أى بلد يقطنه المسلمون حتى داخل البلدان الإسلامية نفسها .

ورغم هذه التحديات فهناك ما يبعث الأمل فى القدرة على الانتصار تشير بعض الإحصائيات طبقاً لما أوردته جريدة الرياض اليومية بتاريخ ٢٠٠٣/٤/١١م فى حديث مع الدكتور عبد الله الناصر ــ المدرس بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود بالرياض . تشير الإحصائيات التى نشرتها منظمات غربية "كما يقول" إلى ازدياد المسلمين فى القرن الأخير.. كان عدد المسلمين بالنسبة للمسيحيين نسبة ١ : ٣ فى عام ١٩٠٠م ، وتحولت هذه النسبة إلى ١ : ٢ فى نهاية القرن العشرين.. وأن عدد الذين

يدخلون الإسلام فى الولايات المتحدة سنوياً يبلغـــون ٢٠ ألـــف أمريكى.. وأن هذا العدد قد تزايد كثيراً بعد أحداث ١١ ســبتمبر .وتشير الإحصائيات فى فرنسا إلى أن عدد المسلمين مـــن أصـــل فرنسى يبلغون الآن أكثر من مائة ألف مسلم .

فالتحديات التى تواجهها الدعوة الإسلامية فى الظرف الراهـن لم تمنع انتشار الإسلام.. ولم تمنع إحساس الصحوة الذى ينتـــاب جميع المسلمين الآن فى كل أنحاء العالم.. والشعور بحجم التحديـات التى تواجهها.. إن هذه المعرفة من المبشرات أيضاً.. فهى الطريـــق لتحقيق النصر.. كما أنها منهج إسلامى أصيل.. فهذا حذيفة بـــن اليمان، الصحابى الجليل يقول: "كان الناس يسألون رســـول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافـــة أن يدركنى" رواه البخارى.

كما تساعد معرفتها على شحذ الهمم وتقوية العزائم والإقـدام على تبليغ الدعوة وعلى الأخذ بالأسباب لمواجهة هذه التحديـات التى تريد النيل من الإسلام والمسلمين.. وقد ورد فى الأثر مـــن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

والتحدى من الناحية الاصطلاحية هو ذلك الوضع الذى يمثل وجوده صعوبة أو إضعافاً أو تشويهاً كلياً أو جزئياً دائماً أو مؤقتـاً لوضع آخر يراد له الثبات والقوة والاستمرار .

١- وقد تعددت التحديات التى تواجه الدعوة الإسلامية بقـــدر تعدد المجالات الأساسية للحياة.. وسنتحدث فيما يلى عن كـــل منها بالتفصيل وعن سبل مواجهتها وذلك كمـــا يتضـــح مـــن الشكل التالى :

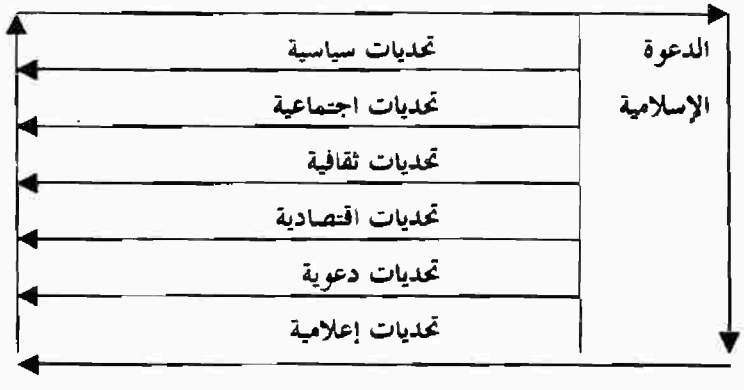

شكل رقم (١) يبين أنواع التحديات التى تواجه الدعوة الإسلامية